الازدراء فـي السنة النبوية المطهرة
(Contempt in the Sunnah Pure)

د. فهد طلال سليم
التدريسي في كلية الامام الاعظم رحمه الله الجامعة
قسم الفقه وأصوله / نينـوى

{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ }

﴿ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْراً اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة هود:٣١]

الخـلاصـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعـد:

فإنَّ سر انتشار الإسلام في الأرض انتشار الماء في العود الاخضر يرجع إلى تعاليمه السمحة ومناسكه الموافقة للفطرة، ولكنَّ تفاوتَ مقاماتِ الخلائق وتباينَ درجاتِهم مدعاةٌ لبروزِ ازدراء الأكبر للأصغر والأعلى للأدنى، وقد يتبعه سخريةٌ أو انتقاصٌ أو تعدي بغير حق، وكل ذلك داخل في ديوان أمراض القلوب، فجاء الإسلام ليذيب هذه الأمراض ويقطع دابرها في نفوس أتباعه، فحد حدودا زاجرة ووضع عواقب وخيمة لفاعليها.

فكتبت بحثاً في ذلك، سميته: (الازدراء في السنة النبوية المطهرة) مستعرضاً فيه تعريف الازدراء وتعريف الألفاظ ذات الصلة ثم أورد الازدراء في القرآن الكريم والكلام عن بدايات هذه الآفة وتاريخها، وعواقبه في القرآن الكريم، ثم مفصِلاً القول في أنواع الازدراء وخطرها وعقوباتها، والتي تبدأ بأصغر أنواعه وهو الازدراء بالنظرة، ومروراً بالازدراء بالكلمة، والازدراء بالضرب، وازدراء بعض المؤمنين للعاصي، وازدراء العاصين لأهل الإيمان، وازدراء الهدية، والازدراء بذكر العورة، ثم الازدراء بالقتل والذي هو أخطر أنواع الازدراء.

مختتما البحث بخاتمة فيها النتائج، ومسطراً توصيات تدعو إلى نشر الخصال المضادة لخصلة الازدراء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

CONCLUSION

In the name of God the Merciful Praise be to Allah and peace and blessings be upon the Messenger of Allah and his family and companions and allies And after: The mystery of the spread of Islam in the ground water in the spread of the lute green due to his teachings Tolerant and rituals approval of the encroachment, but the disparity shrines creations and contrast grades cause for the emergence of the greatest contempt for the smallest and highest The lowest, has been followed by ridicule or disparagement or infringement unjustly, all within in the Office of diseases hearts, Islam came to dissolve these diseases and suppress cut in the hearts of his followers, limits injunctions and put serious consequences for its actors.

I wrote it in the search, detoxified: (contempt in the Sunnah Pure) Reviewing the definition of contempt and the definition of the relevant terms and contempt cited in the Quran and talk about the beginnings of this scourge and its history, and its consequences in the Quran Then detailed to say in the types of contempt and its dangers and penalties, which begins the smallest forms a contempt outlook, through the word contempt, disdain and beaten, and some contempt for the faithful, and contempt for the people of sinners Faith, and contempt for the gift, and the remembrance of the genitalia of contempt, disdain and then death, which is the most dangerous types of contempt. Find a conclusion, concluding the results, and underlined the recommendations calls for the deployment of the qualities of anti-lock contempt. And Praise is to Allah, Lord of the worlds.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه، **وبعد:**

فإنَّ سر انتشار الإسلام في الأرض انتشار الماء في العود الاخضر يرجع قطعاً إلى تعاليمه السمحة ومناسكه الموافقة للفطرة، فليس من خُلقٍ يؤلف بين العباد إلا صدر عنه، وليس من خصلةٍ تزرع السوء إلا نفاها وحذّر منها بل وواعد عليها حسابا عسيرا، ثم من سنن الله في خلقه اختلاف الألسنة والألوان والأفكار والأفهام، يقول تعالى: ((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ))[الروم:٢٢].

وتفاوتُ مقاماتِ الخلائق وتباينُ درجاتِهم واختلافُ مشاربِهم ومواردِهم مدعاةٌ لبروزِ ترفعٍ لدى العالين المكثرين، وتذللٍ لدى المقلين إلا ما رحم ربي منهم، وينشأ عنه ازدراء الأكبر للأصغر والأعلى للأدنى، وقد يتبعه سخريةٌ أو انتقاصٌ أو كِبْرٌ في النفس وإعجاب بها، وهمز ولمز، وقد يتعدى إلى التعدي بغير حق، وكل ذلك داخل في ديوان أمراض القلوب المميتة المهلكة.

فجاء الإسلام ليذيب هذه الأمراض ويقطع دابرها في نفوس أتباعه، فحد حدودا زاجرة ووضع عواقب وخيمة لفاعليها.

من أجل ذلك ارتأيت أن أكتب بحثا في ذلك، سميته: (الازدراء في السنة النبوية المطهرة) محاولاً أنْ أُشخص به علة ناخرة ومرضاً فتّاكاً يكاد يفتت جسد أمتنا ويهدد وحدتها ويمزق أبناءها وهو الازدراء.

مستعرضاً فيه تعريف الازدراء وتعريف الألفاظ ذات الصلة مثل (الاحتقار والسخرية والاستهانة) ثم أورد الازدراء في القرآن الكريم والكلام عن بدايات هذه الآفة وتاريخها المقترن ببداية رحلة الإنسان على ظهر الأرض، وعواقبه في القرآن الكريم، ثم مفصِلاً القول في أنواع الازدراء وخطرها وعقوباتها، مشيراً في الوقت نفسه إلى عظمة الإسلام في استيعاب أصناف الازدراء وأنواعه، والتي تبدأ بأصغر ضروبه وهو الازدراء بالنظرة، ومروراً بالازدراء بالكلمة، والازدراء بالضرب، وازدراء بعض المؤمنين للعاصي، وازدراء العاصين لأهل الإيمان، وازدراء الهدية، والازدراء بذكر العورة، ثم الازدراء بالقتل والذي هو أخطر أنواع الازدراء.

مُعرِجاً في كل نوع إلى التركيز على خطر الازدراء وضرره في تمزيق وحدة الأمة وتشتيت أمرها وذهاب ريحها، فضلا عن خطورتها في إحداث صراعات وحروب بين اتباع الأديان المختلفة باعتبارها الشرارة الأولى التي ينطلق منها العداء والتقاتل.

مختتما البحث بخاتمة تستعرض خلاصة النتائج التي حوتها ورقات البحث ومسطرا توصيات تدعو إلى نشر الخصال المضادة لخصلة الازدراء ومنها (الاحترام والإجلال والتفخيم والتقدير والتكريم والتبجيل).

سائلا مولانا الكريم أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

تمهيد

الازدراء وبـــدايـــاتـــه

أ= تعريف الازدراء وبعض ما يندرج تحته من ألفاظ:

❁- **الإزْدِرَاء:** الاحتِقَار والانْتِقاصُ والعيبُ، والاستخفاف، وَهُوَ افْتعالٌ، مِنْ الزِّرَايَةِ، وبابه (زَرَا)، يقال زَرَيْتُ عَلَيْهِ زِرَايَةً إِذَا عِبتَه، وأَزْرَيْتُ بِهِ إِزْرَاءً إِذَا قصَّرتَ بِهِ وتهاونْت، وأَزْرَى بِهِ وَازْدَرَاهُ إِذَا احْتَقَرَهُ، وَأَصْلُ ازْدَرَيْتُ ازْتَرَيْتُ، وَهُوَ افتعَلت مِنْهُ، فُقَلِبَت التَّاءُ دَالًا لِأَجْلِ الزَّايِ، والازدراء أقسى أنواع التأنيب، ومَثَلُه: ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد جَسُورُ[1]. وجاء فِي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((انْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ))[2].

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة: ١٨٣٠/٣، والمغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين ابن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م: ٢٠٨/١، والنهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ: ٣٠٢/٢، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ: ٩٨٣/٢.

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت٢٦١ هـ)، دار الفكر، بيروت: ٢٢٧٥/٤ برقم (٢٩٦٣)، وسنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ٢٧٩ هـ، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤٠٣ هـ، الطبعة الثانية: ٢٤٦/٤ برقم (٢٥١٣)، وسنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت: ١٣٨٧/٢ برقم (٤١٤٢)، ومسند أحمد، أحمد بن حنبل، ٢٤١ هـ، تعليق: شعيب الأرناؤوط، المكتبة الميمنية، مصر: ١٢٠١/٣ برقم (٧٥٦٦).

❁- **الاحتقار**: بابه (حقر) أصلٌ واحد، وهو استصغارُ الشيء. يقال شيءٌ حقير، أي صغير. وأنا أحتقرهُ: أي أستصغره[١].

❁- **السخرية**: بابه (سخر)، سَخِرَ منه وبه، أي: استهزأ. والسُّخْرِيَّةُ: مصدر في المعنيين جميعا[٢].

❁- **الاستهانة**: الهَوْنُ السكينة والوقار، والهُونُ بالضم الهوان، وأَهَانَهُ استخف به، والاسم الهَوَانُ، والمَهَانَةُ، يقال رجل فيه مَهَانة أي ذل وضعف، واسْتَهَانَ به وتَهَاوَنَ به استحقره[٣].

ب= ورود الازدراء في القرآن الكريم

لم ترد لفظة الازدراء في القرآن الكريم في حروفها الصريحة إلا مرة واحدة في سورة هود عند قوله تعالى على لسان نبي الله نوح: ((وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)) [هود:٣١]. إذ يُخْبِرُهُمْ النبي نوح عليه السلام أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُو إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا يَسْأَلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَجْرًا، بَلْ هُوَ يَدْعُو مَنْ لَقِيَهُ مِنْ شَرِيفٍ وَوَضِيعٍ، فَمَنِ اسْتَجَابَ لَهُ فَقَدْ نَجَا. وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَا يَقدِر عَلَى التَّصَرُّفِ فِي خَزَائِنِ اللَّهِ، وَلَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ هُوَ بمَلك مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ بَشَرٌ مُرْسَلٌ، مُؤَيَّدٌ بِالْمُعْجِزَاتِ. وَلَا

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ: ٢/٩٠.

(٢) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٤/١٩٦.

(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة النشر ١٩٩٥م: ٥٠٧.

أقولُ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَحْتَقِرُونَهُمْ وَتَزْدَرُونَهُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابٌ على إيمانهم الله أعمل بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بَاطِنًا، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حَالِهِمْ، فَلَهُمْ جَزَاءَ الْحُسْنَى، وَلَوْ قَطَعَ لَهُمْ أَحَدٌ بَشَرٌ بَعْدَ مَا آمَنُوا، لَكَانَ ظَالِمًا قَائِلًا مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ[1]. قال ابن عاشور: (الازدراء: افتعال من الزري وهو الاحتقار وإلصاق العيب، فأصله: ازتراء، قلبت تاء الافتعال دالاً بعد الزاي كما قلبت في الازدياد)[2]. وإسناد الازدراء إلى الأعين وإنما هو من أفعال النفس مجاز عقلي لأن الأعين سبب الازدراء غالباً، لأن الازدراء ينشأ عن مشاهدة الصفات الحقيرة عند الناظر، ونظيره قوله تعالى: ((سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ))[الأعراف:١١٦]، وإنما سحروا عقولهم ولكن الأعين ترى حركات السحرة فتؤثر رؤيتها على عقول المبصرين[3].

ج= بدايات هذه الآفة (الازدراء) وتاريخها المقترن ببداية رحلة الإنسان على ظهر الأرض:

ذكرنا أن الازدراء لم يذكر صريحاً في القرآن الكريم إلا مرة واحدة إلا ان القرآن أشار في مواطن كثيرة إلى خطره بمعان مختلفة وألفاظ متعددة، وكلها تدور في دائرة الازدراء، ومنها الكبر والاحتقار والحسد والسخرية والاستهانة والضحك وغيرها. وأشارت الآيات إلى أن الازدراء هو الشرارة الأولى التي تفضي إلى إيقاد النيران في القلوب التي يتبعها التقاتل والتحارب إذ إن بدايات الجرائم في التاريخ الإنساني ابتدأت بالازدراء

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤٠١ هـ: ٤/ ٣١٨.

(٢) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤ هـ: ٥٨/١٢.
١٩٨٤ هـ: ٥٨/١٢.

(٣) التحرير والتنوير: ٥٨/١٢.

حين ازدرى ابليسُ أبانا آدم ﷺ لتنطلق معه العداوة الخالدة بيننا وبينه، قال تعالى: ((قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾))[ص:٧٥-٧٦]، فإبليس أوقعه ازدراؤه لآدم ﷺفي حضيض المعصية إلى يوم الدين. ثم استعرض القرآن بشيء من الإسهاب قصة ابني آدم – هابيل وقابيل – اللذين انتهت قصتهما بمقتل أحدهما، ذلك أن الازدراء تغلغل في قلب أحدهما فظن نفسه خيراً من أخيه وأن أخاه لا يستحق أن يبلغ رتبة أعلى منه حتى قاده ذلك إلى قتل أخيه ليصبح من النادمين، قال تعالى: ((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾))[المائدة:٢٧-٣٠]. فقد أورد الله تعالى هذه القصة لبيان تأثير الحسد والحقد وحب الذات، وأن ذلك يؤدي إلى المخاطر والمهالك والقبائح، فقضى على رابطة الأخوة التي تجمع بين الأخوين، وأدى إلى سفك الدماء، وأمثلة ذلك كثيرة[1]. ومن ذلك تعالي فرعون على الله تعالى، فقال لقومه: ((يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ: ٦/ ١٥٢.

إلى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[القصص:٣٨]، ثم تكبّره وازدراؤه للناس جميعا بمن فيهم النبي موسى عليه السلام، فحاول التقليل من شأن موسى عليه السلام وما أكرمه الله به من النبوة فقال: ((أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ))[الزخرف:٥٢]. ثم تتطرق القرآن الكريم إلى استهزاء المشركين وازدرائهم للنبي ﷺ، فلمّا جهر رسول الله ﷺ بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤوا به في مجالسهم، فكان إذا مرّ عليهم يقولون: هذا ابن أبي كبشة يُكَلَّمُ من السماء! وهذا غلام عبد المطلب يُكَلَّم من السماء لا يزيدون على ذلك، وكان كلما مرَّ ﷺ بمجلسهم همزوه وغمزوه وعابوا عليه، ويقولون باستهزاء وتعجب: ((لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ))[1] [الزخرف:٣١].

د. الازدراء وعواقبه في القرآن الكريم

تعرض القرآن الكريم لأهل الازدراء وعواقبهم في مواطن كثيرة، وسنذكر ثلاثة مواضع من الذكر الحكيم تتحدث عن هؤلاء الكفار وسخريتهم وازدرائهم للذين آمنوا:

- ((زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ))[البقرة:٢١٢]. فقد أخبر تعالى أن الشيطان زين للذين كفروا بالله ورسوله وشرائعه الحياة الدنيا فرغبوا فيها وعملوا لها وأصبحوا لم يروا غيرها، ولذلك سخروا من المؤمنين الزاهدين فيها لعلمهم بزوالها وقلة نفعها فلم يكرسوا كل جهدهم لجمعها والحصول عليها بل أقبلوا على طاعة ربهم وأنفقوا ما في أيدهم في

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري، (ت١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ: ٣٦.

سبيل الله طلباً لرضاه. كما أخبر أن المؤمنين المتقين سيجازيهم يوم القيامة خير الجزاء وأوفره فيسكنهم دار السلام في عليين، ويخزي أعدائهم الساخرين منهم ويهينهم فيسكنهم الدرك الأسفل من النار[1].

- ((إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾))[المطففين:٢٩-٣٦].

أخبر الله تعالى أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهزؤون بهم، ويضحكون منهم، ويتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقارا لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، وكما ان الكفار ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال[2].

- ((الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[التوبة:٧٩].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ: ١/١٨٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ: ٩١٦.

إن المنافقين عابوا الذين قصرت أيديهم عن الإكثار في الصدقة وجادوا بما وصلت إليه أيديهم، فشكر الله سعى من أخلص في صدقته بعد ما علم صدقه فيها. وقليل أهل الإخلاص أفضل من كثير أهل النفاق.

ولمّا أوجدوا المسلمين بسخريتهم وصف الله- سبحانه وتعالى- نفسه بما يستحيل في وصفه- على التحقيق- وهو السخرية بأحد. تطبيبا لقلوب أوليائه، فقد تقدّس عن ذلك لعزّة ربوبيته[1].

وسبب اختيار هذه الآيات دون غيرها لأنها شملت العقوبات الثلاث للساخرين، فالعقوبة الاولى ((وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) في أن الله سيرفع المتقين (المسخور منهم) فوق الكافرين (الساخرين) وتكريم المسخور منه إهانة للساخر، والعقوبة الثانية ((فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ)) وهي ان المؤمنين سيضحكون على الكافرين يوم القيامة حين يرونهم يتقلبون في نار جهنم ويعاتب بعضهم بعضا ويتمازقون بينهم بينما المؤمنون على الأرائك ينظرون، والعقوبة الثالثة ((سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) هي العذاب الاليم الذي ينتظرهم، وأول هذا العذاب أن الله سخر منهم وسَيُمَكِّنُ للمؤمنين من السخرية بهم لأن الجزاء من جنس العمل.

(١) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة: ٤٩/٢.

المطلب الأول

الازدراء بالنظرة

ابتدأنا بالكلام عن الازدراء بالنظرة باعتبارها أخف أنواع الضرر، وإنّ النظرة لا تعدو أنْ تكون فعلا أحاديا، وأذاه ليس حسياً إنما معنوي، ولكن بالرجوع إلى عقوبة هذه النظرة نجد خطورة هذا الفعل وعظيم ضرره على صاحبه لما يُسببه من أذى نفسي للمنظور اليه بل قد يتبع هذه النظرة فعل أشنع وأكبر، وقد جاء الحديث النبوي في ذم النظرة بغير الحق وأشار إلى النظرة المخيفة التي ينظرها صاحبها ليُخيف أخاه، والخوف يندرج ضمن الازدراء فنظرة المسلم إلى أخيه نظرة اخافة لم تتأتى إلا من ازدرائه لأخيه، فقد ورد عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ نَظَرَ إلى مُسْلِمٍ نَظْرَةً يُخِيفُهُ بِهَا فِي غَيْرِ حَقٍّ، أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((من نَظَرَ إلى أَخِيهِ نَظْرَةً يُخِيفُهُ أَخَافَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2].

فقوله ﷺ (أَخَافَهُ اللَّهُ) ؛ أَيْ بِنَظَرِ غَضَبٍ عَلَيْهِ جَزَاءً وِفَاقًا (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، قَالَ الطِّيبِيُّ: (وَذَكَرَ (أَخِيهِ) لِلْاسْتِعْطَافِ ؛ يَعْنِي أَنَّ الْأُخُوَّةَ تَقْتَضِي الْأُمْنِيَةَ لَا سِيَّمَا أُخُوَّةُ الإسلام، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)[3].

---

(١) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م: ٣٢/١٣ برقم (٧٠)، وإسناده فيه ضعف.

(٢) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ: ٥٣٥/٩ برقم (٧٠٦٤)، وإسناد فيه ضعف، بسند غير سند الحديث الذي سبقه.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا القاري، (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ٢٤٢٠/٦، والحديث (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) أخرجه البخاري: ١١/١ برقم (٩)، ومسلم: ٤٨/١ برقم (١٧١).

وَإِيرَادُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْبَابِ لِلْإِشَارَةِ إلى أَنَّ مُجَرَّدَ الْإِخَافَةِ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكَيْفَ بِمَا فَوْقَهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَظْلَمَةِ؟ وَيُؤْخَذُ مِنْ مَفْهُومِهِ؛ أَنَّ مَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ إلى أَخِيهِ؛ نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْعِنَايَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا رَوَى الْحَكِيمُ عَنِ ابْنِ عَمْرٍو ﷺ؛ أَيْضًا: بِلَفْظِ ((مَنْ نَظَرَ إلى أَخِيهِ نَظْرَةَ وُدٍّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ))[1].

وهذا النوع من الازدراء (أي الازدراء بالنظرة) هو الوحيد الذي ذكر في القرآن الكريم وقد تطرقنا للآية الشريفة في التمهيد.

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٦/٢٤٢٠، والجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،(ت٩١١هـ)، بأحكام الالباني، دار الفكر، بيروت: برقم (١٢٦٣٨)، قال الالباني: ضعيف.

المطلب الثاني

الازدراء بالكلمة

بعد الحديث عن الازدراء بالنظرة ننتقل إلى الحديث عن الازدراء بالكلمة، وإنّ تسمية هذا النوع بـ(الازدراء بالكلمة) والعدول عن تسميته (الازدراء باللسان) راجع إلى لفت الانتباه إلى أنْ الكلمة الواحدة إذا خرجت من الفم بصيغة الازدراء فعاقبتها وخيمة، وعقابها أليم شديد. فعَن أبي الدرداء ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أيُّما رَجُلٍ أشاعَ على رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ وهُوَ مِنْها بَرِيءٌ يَشِينُهُ بِها فِي الدُّنْيا كانَ حَقّاً على الله تَعَالَى أنْ يُدْنِيَهُ يَوْمَ القيامَةِ فِي النَّارِ حَتَّى يأْتِيَ بِإِنْفاذِ مَا قالَ))[1]. وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ ذَكَرَ امْرَأً بِمَا لَيْسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ حَبَسَهُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ))[2]. فقوله ﷺ (أَيّمَا رجل أشاع على رجل مُسلم بِكَلِمَة) أَي أظهر عَلَيْهِ بهَا مَا يعِيبهُ ويشينه (وَهُوَ مِنْهَا بَرِيء يشينه بهَا) أَي فعل مَا فعل بِقصد أَن يشينه ويعيره بهَا[3]، و(يشينه) أي: يعيبه[4]، فِي الدُّنْيَا بَين النَّاس ((كَانَ حَقًا على الله أَن يُدْنِيه يَوْم الْقِيَامَة فِي النَّار حَتَّى يَأْتِي بإنفاذ مَا قَالَ))، وَلَيْسَ بِقَادِر على إِنْفَاذه فَهُوَ كِنَايَة عَن دوَام تعذيبه بهَا[5].

---

(١) الجامع الصغير: برقم (٥٠٤٤)، فيه ضعف.

(٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة: ٣٨٠/٨، برقم (٨٩٣٦)، فيه ضعف.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، (ت١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ: ٤١١/١.

(٤) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، تحقيق: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ: ٦٠/٢.

(٥) التيسير بشرح الجامع الصغير: ٤١١/١.

واشتد العذاب على القائلين في المؤمنين ما ليس فيهم ليعيبهم ويزدريهم ليصل عذابهم إلى تخصيص مكان خاص وحال معين لهم في نار جهنم، فابْن عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((وَمَنْ قَالَ فِى مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ))[١].

فالمكان المُعد لهؤلاء في جهنم يسمى ردغة الخبال، وهي كما جاء في النهاية: الردغة بسكون الدال وفتحها طين ووحل كثير.

وتجمع على ردغ ورداغ. والخبال في الأصل الفساد ويكون في الأفعال والأبدان والعقول[٢].

وجاء في الفائق أن الخبال ما ذاب من حراقة أجساد أهل النار[٣].فقد جاء في رواية ابن ماجه، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا رَدْغَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ ﷺ: ((عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ))[٤].

(١) أَخْرَجَهُ أحمد: ٧٠/٢، برقم (٥٣٨٥)، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤١٠ هـ، الطبعة الأولى: ٣٠٥/٣ برقم (٣٥٩٧)، والحديث صحيح.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢١٥/٢ .

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن الزمخشري جار الله، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان: ٣٥٤/١.

(٤) أخرجه ابن ماجه: ١١٢٠/٢ برقم (٣٣٧٧)، والحديث الصحيح.

المطلب الثالث

الازدراء بالضرب

يجيء هذا النوع من حيث الخطورة والضرر في مصاف الاعمال الصارفة لأهلها عن الجنة، وهو أن يقبل المرء على ضرب مسلم ازدراءً مِنْ غير حق فيُخْرِج منه دماً ولو كان مقداره ملء المحجمة، فعن عَبْد الْخَالِقِ بْنُ زَيْدِ بْنِ وَاقِدٍ، قال: حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، حَدَّثَهُمْ، قَالَ: كُنْتُ أُجَالِسُ بَرِيرَةَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ أَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ فَكَانَتْ تَقُولُ: يَا عَبْدَ الْمَلِكِ، إِنِّي لَأَرَى فِيكَ خِصَالًا لَخَلِيقٌ أَنْ تَلِيَ هَذِهِ الْأُمَّةَ، فَإِنْ وُلِّيتَهُ فَاحْذَرِ الدِّمَاءَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لِيُدْفَعُ عَنْ بَابِ الْجَنَّةِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا عَلَى مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ يُرِيقُهُ مِنْ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ))[1].

فهذا النص الصريح في أن يكون ولاة الأمر على بينة منه، وأن تكون نصيحة بريرة شعاراً لهم في ولايتهم، بل هي نصيحة تلقن لكل مَن نتوسم فيه أن يكون واليا ذات يوم، لشدة خطورتها وعظم فائدتها. فالمسلم قد يأتي بصلاة وصيام فيساق إلى أبواب الجنة وليس بينه وبينها إلا ذراع فيخرج ذلك الدم القليل الذي أراقه من مسلم ازدراءً واحتقاراً وانتقاصاً ليكون حجاباً بينه وبين دخول الجنة فيصرف حينئذٍ تلقاء النار. فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا))[2]. وورد أَنَّ عَبْدَ اللهِ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: ((إِنَّ الْعِبَادَ فِي فُسْحَةٍ مِنْ سَتْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَقَامُوا الْعِبَادَةَ، وَلَمْ يَهْرِقُوا دَمًا حَرَامًا))[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٠٥/٢٤، برقم (٥٢٦)، وفيه ضعف.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ٢/٩ برقم (٦٨٦٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٧٩/٩ برقم (٨٨٨٧)، والحديث صحيح وشاهده في البخاري كما في الهامش السابق.

المطلب الرابع

ازدراء بعض المؤمنين للعاصي

وقع هذا الصنف من الصحب الكرام في حضرة رسول الله ﷺ فنهاهم عنه وأرشدهم إلى خطره، وإنّ هذا الازدراء يحقق للشيطان مآربه في إيقاع بني آدم في الذنب والاستمرار عليه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: (اضْرِبُوهُ)، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ ﷺ: ((لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ))[1]، وفي رواية للإمام أحمد بزيادة، ((لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ وَلَكِنْ قُولُوا رَحِمَكَ اللَّهُ))[2].

فهذا الحديث يحمل توجيهاً نبوياً كريماً، ومنهجاً رصيناً في كيفية التعامل مع من وقع في معصية من المعاصي، منهج ربما غاب عن كثير منا، بحيث أصبح بعضنا ينظر لصاحب المعصية نظرة ازدراء واحتقار وكراهية، قد يتبعها الدعاء عليه !!.

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: (ووجه عونهم الشيطان بذلك أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي، فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان)[3].

---

(١) أخرجه البخاري: ١٥٨/٨ برقم (٦٧٧٧)، وأبو داود: ١٦٣/٤، برقم (٤٤٧٧) .

(٢) أخرجه أحمد: ١٧٣٦/٣ برقم (٨١٠١)، والحديث صحيح.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية: ٦٧/١٢.

وإن منهجية التعامل مع العاصي أو المخطئ منهجية ينبغي ألا تخضع للعواطف الجياشة، أو الاجتهادات الفرديّة الخاصة، بل تحكمها النصوص الشرعية المستفيضة من الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وما أجمل أن يستشعر الإنسان حال توجيه اللوم لأخيه العاصي بأنّه مكانه. لو كان الناصح هو الشخص المبتلى، فماذا يحب أن يسمع؟ وكيف يريد مِمَّن حوله أن يتعاملوا معه؟ ما أجمل قاعدة: ضع نفسك مكانه[١]، وما أروع ما ذكره الإمام ابن القيم في كتابه: طريق الهجرتين تحت قاعدة (مشاهد الناس في المعاصي والذنوب)، قال: (الناس في البلوى التي تجري عليهم أحكامها بإرادتهم وشهواتهم متفاوتون – بحسب شهودهم، لأسبابها وغاياتها – أعظم تفاوت، وجماع ذلك ثمانية مشاهد)، ثم ذكر في المشهد السابع مشهد الحكمة، وهو (أن يشهد – أي العبد العاصي – حكمة الله في تخليته بينه وبين الذنب، وإقداره عليه، وتهيئة أسبابه له، وأنه لو شاء لعصمه وحال بينه وبينه، ولكن خلّى بينه وبينه لحكم عظيمة لا يعلم مجموعها إلا الله)[٢].

(١) ينظر: (لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم)، تيسير بن سعد ابو حيمد، السعودية.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ: ١٦٤.

المطلب الخامس

ازدراء العاصين لأهل الإيمان

وهذا النوع كثير في كل زمان ومكان، والمؤمنون معرضون له على الدوام طالما هناك كفار فهناك استهزاء، وأكثر الخلق عرضةً لاستهزاء الكافرين وازدراء المنافقين هم الانبياء والمرسلون، فالمؤمن في مواجهة الازدراء دوماً ولقد كان الازدراء احد انواع الايذاء الموجه إلى رسولنا ﷺ، فازدراء المنافقين بحضرة نبينا ﷺ وتكذيبهم لنبوته قد وقع منهم وفضحهم مرارا ربنا تعالى، قال ابن كثير في قوله تعالى: ((وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً))[الفرقان: ٤١]، يخبر الله تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول ﷺ إذا رأوه ويصفونه بالعيب والنقص على سبيل التنقيص والازدراء فقبحهم الله)[1]. فمن ذلك ما حدث في طريقهم إلى تبوك حيث ضلت ناقة الرسول ﷺ، فقال زيد بن اللُّصيت – وكان منافقاً –: أليس يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: إن رجلاً يقول وذكر مقالته، وإني والله لا أعلم إلا ماعلمني الله، وقد دلني الله عليها، هي في الوادي في شِعْب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها فذهبوا فأتوه بها[2]. ومن صور الازدراء الواقع من الكفار والمنافقين في المؤمنين ما جرى في غزوة تبوك، والتي حل بالمسلمين فيها الكثير من النصب والتعب والجوع والعطش، فأخذ المنافقون

(١) تفسير ابن كثير: ٤٢٦/٣.

(٢) ينظر: السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، جمال الدين، (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ: ١٦٦/٤، ودلائل النبوة، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،(ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبدالمعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ: ٢٣٢/٥، وزاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ: ٥٣٣/٣، ورجال سنده ثقات.

يستهزؤون برسول الله ﷺ ومن معه، فنزل الوحي بقرآن يفضحهم ويجلّيهم للناس، قال تعالى: ((وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ{٦٥} لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ{٦٦}))[التوبة: ٦٥، ٦٦]. وورد في سبب نزولها عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قرآءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عن اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله ؛ إنما كنا نخوض ونلعب فقال: ((أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)) إلى قوله ((مُجْرِمِينَ)). وإن رجليه لتنسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنسعة[1] رسول الله ﷺ[2]. وقال قتادة: بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ؟ هيهات هيهات له ذلك !! فأطلع الله نبيه على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: ((احبسوا عليَّ الركب)) فأتاهم، فقال: ((قلتم كذا وكذا))، فقالوا: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى هذه الآية[3].

---

(١) النِّسْعُ، بالكَسْرِ: سَيْرٌ يُنْسَجُ، أَي: يُضْفَرُ عَرِيضاً على هَيْئَةِ أَعِنَّةِ النِّعَالِ، تُشَدُّ بِهِ الرِّحَالُ، والقِطْعَةُ مِنْه نِسْعَةٌ. [ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية: ٢٢/ ٢٤٩].

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ: ١٠/١٧٣، وتفسير ابن كثير: ٤/١١١، و أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ: ٢٥٠ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ١٠/١٧٢، وتفسير ابن كثير: ٤/١١٢، وأسباب النزول للواحدي: ٢٥٠.

المطلب السادس

ازدراء الهدية

إنَّ ذِكْرَ النبي ﷺلهذا النوع من الازدراء لَهُوَ دليلٌ بيّنٌ على عظيم هذا الدين وجمال تعاليمه، فليس يرضى ربنا بأن يحقر أحدنا شيئاً فلا يهديه لأخيه، فليست العبرة بمقدار الهدية إنما بقدرها المعنوي، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: ((يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ [١]))[٢].

وخرج الخطاب هنا إلى المرأة المسلمة، وذكر القاضي في إعراب (يا نساء المسلمات) ثلاثة أوجه، أصحها وأشهرها نصب النساء وجر المسلمات على الإضافة، وهو من باب إضافة الشيء إلى نفسه والموصوف إلى صفته والأعم إلى الأخص كمسجد الجامع وجانب الغربي ولدار الآخرة[٣].

((لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا)) والاحتقار هو الازدراء واستقلاق الشيء، فلا تمنع امرأة أن ترسل إلى اختها بهدية لأنها صغيرة او قليلة، بل عليها ان تهدي ولو ادنى شيء، (ولو فرسن شاة)، قال أهل اللغة: هو بكسر الفاء والسين وهو الظلف، قالوا: وأصله في الإبل، وهو فيها مثل القدم في الإنسان، قالوا: ولا يقال إلا في الإبل، ومرادهم أصله مختص بالإبل، ويطلق على الغنم استعارة.

---

(١) الفِرْسِن: عَظْمٌ قَليل اللَّحْم، وَهُوَ خُفُّ البَعير، كالحَافر لِلدَّابَّةِ، وَقَدْ يُسْتَعار لِلشَّاةِ فيُقال فِرْسِن شَاةٍ، وَالَّذِي للشَّاة هُوَ الظِّلْف. [ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٤٢٩].

(٢) أخرجه البخاري: ١٥٣/٣ برقم (٢٥٦٦)، ومسلم: ٧١٤/٢، برقم (١٠٣٠).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ: ١٢٠/٧.

وهذا النهي عن الاحتقار نهي للمعطية المهدية، ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها بل تجود بما تيسر ولو كان قليلا كفرسن شاة وهو خير من العدم[1].

ذلك لأن الله تعالى يقول: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا))[النساء:٤٠]. ويقول تعالى: ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ))[الزلزلة:٧].

وثمة إشارة أخرى إلى أن النبي ﷺ يحث على تقوية الأواصر وتمتين الروابط بين أهل الإسلام، وأنه لا يرضى أن يُقطع شيء من حبال الود ولو كان خيطاً رفيعاً وهو فرسن الشاة، فإن إرسال الهدية الصغيرة جداً أفضل وأجود وخير من عدم إرسالها، بل قد تقع المحبة وتزداد الألفة بين المتهاديين رغم صغر الهدية، بيد أن الهدية رسول المحبة، فقد جاء هذا الحديث في رواية أخرى للترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((تَهَادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ))[2].

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ١٢١/٧.

(٢) أخرجه الترمذي: ٩/٤ برقم (٢١٣٠)، والحديث غريب، وشطره الآخر صحيح.

المطلب السابع

الازدراء بذكر العورة

ومن أنواع الازدراء المنتشرة بين الناس دون انتباه لها هو هذا النوع، الازدراء بالعورة، فكثيرا ما يعيب أحدنا على أخيه بذكر عورة من عوراته، ويسخر منها أو ينابزه بها، وهذا فعل مخالف لنص القرآن الكريم، ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))[الحجرات:١١].

فالمزدري لأخيه بعورته هو من ضمن الظالمين إن لم يتب، ناهيك عن وعيد الله له يوم القيامة بأن يعاقبه الله بمثل ما فعل، قال رسول الله ﷺ: ((من أشار على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة))[1].

أما في الدنيا فهو موعود بأن تُفضح عورته ولو تستر بمئة جلباب أو حجاب كما فضح عورة أخيه ازدراءً، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلى قَلْبِهِ، لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ))،

(١) الجامع الصغير: ١٩٥/٢٥، برقم (١٢١٩٥)، فيه ضعف.

قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ يَوْمًا إلى الْبَيْتِ أَوْ إلى الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: (مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ)[1].

وله أيضاً أن النبي ﷺ بشّره بأنه سيقع بنفس الذنب الذي عيّر أخاه به، وتلك طامة كبرى لا ينتبه لها كثير من الخلق، فما من مسلم يعيب أخاه إلا وقع بنفس العيب، ويتوب الله على من تاب، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ)). قَالَ أَحْمَدُ: مِنْ ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ[2].

يقول زَاذَان المداينى: (رَأَيْت أَقْوَامًا من النَّاس لَهُم عُيُوب، فَسَكَتُوا عَن عُيُوب النَّاس فَستر الله عيوبهم، وزالت عَنْهُم تِلْكَ الْعُيُوب، وَرَأَيْت أَقْوَامًا لم تكن لَهُم عُيُوب اشتغلوا بعيوب النَّاس فَصَارَت لَهُم عُيُوب)[3].

(١) أَخْرَجَهُ الترمذي: ٤٤٦/٣ برقم (٢٠٣٢)، الحديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه التِّرْمِذِي: ٢٤٢/٤، برقم (٢٥٠٥)، وضعفه شديد.

(٣) عيوب النفس، محمد بن الحسين النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، (ت٤١٢هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة، طنطا: ١٢.

المطلب الثامن

الازدراء بالقتل وهو أخطر أنواع الازدراء

هذا النوع هو آخر طريق الازدراء ونهاية سكته، وبئس الطريق وبئست السكة، فما زال الرجل يزدري أخاه حتى يلحقه بالنظرة ثم بالكلمة ثم بالضربة ثم بالقتل، وذلك هو الخسران المبين.

فهنا تظهر خطورة الازدراء وأنها آفة تنخر قوى الأمة، وأنها علّة خبيثة يستأصل بها صاحبُها الناسَ ثم تستأصله من أفواج المؤمنين ليغدو والكافر سواء، اشتركا في الإجرام فذا أجرم في حق أخيه والكافر أجرم في حق الله ثم يشتركان في الخلود في نار جهنم، قال تعالى: ((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً))[النساء:٩٣]. خمس عواقب اجتمعت للقاتل المتعمد، حتى أغلق على نفسه باب المغفرة، فعَنْ أَبِي إِدْرِيسَ قَالَ سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ ﷺ وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ((كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاَّ الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِراً أَوِ الرَّجُلُ يَقْتُلُ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً))[1]. فالازدراء هو الزيت الذي أوقد فتيلة القتل، وجاء في ألفاظ مختلفة من روايات متعددة كلها تدور في رحى الازدراء كالاعتباط والعبث وغيرها. فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُول اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: ((مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا، فَاعتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً))[2]. قال المنذري: (الصّرْف النَّافِلَة، وَالْعدْل الْفَرِيضَة، وَقيل غير ذَلِك)[3]، قَالَ خَالِدُ بْنُ دِهْقَانَ

(١) أخرجه أحمد: ١١٢/٢٨ برقم (١٦٩٠٧)، والحديث صحيح.

(٢) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين المنذري، (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ: ٢٠٣/٣، والحديث صحيح.

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري: ٢٠٣/٣.

سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى الْغَسَّانِيَّ عَنْ قَوْلِهِ ﷺ: ((اعتَبَطَ بِقَتْلِهِ)). قَالَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى الْفِتْنَةِ فَيَقْتُلُ أَحَدُهُمْ فَيَرَى أَنَّهُ عَلَى هُدًى لاَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ يَعْنِى مِنْ ذَلِكَ[١]. قال ابن الأثير في النهاية: (وهذا تفسير يدل على أنه من الغبطة؛ بالغين المعجمة، وهي الفرح والسرور وحسن الحال؛ لأن القاتل يفرح بقتل خصمه، فإذا كان المقتول مؤمنا، وفرح بقتله؛ دخل في هذا الوعيد)[٢]. وقال الخطابي في معالم السنن: (قوله ﷺ: ((فاعتبط قتله))؛ يريد أنه قتله ظلما لا عن قصاص، يقال: عبطت الناقة، واعتبطتها: إذا نحرتها من غير داء أو آفة تكون بها، ومات فلان عبطة: إذا كان شاباً واحتضر قبل أوان الشيب والهرم، قال أمية بن أبي الصلت:

مَنْ لم يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً ... لِلْمَوْتِ كَأْسٌ والمرءُ ذَائِقُها)[٣].

وقال ابن الأثير: (كل من مات بغير علة فقد اعتبط، ويقال: مات فلان عبطة؛ أي: شاباً صحيحاً)[٤]. ومن معاني الازدراء أيضاً العبث واللهو، فلو ازدرى أحد طيراً، وقتله عبثاً أُقتص منه يوم القيامة، فعَن الشريد ﷺ قَالَ سَمِعت رَسُول الله ﷺ يَقُول: ((من قتل عصفورا عَبَثا عج إلى الله يَوْم الْقِيَامَة، يَقُول يَا رب إِن فلَانا قتلني عَبَثا، وَلم يقتلني مَنْفَعَة))[٥].

(١) المفصل في أحاديث الفتن، علي بن نايف الشحود: ١٧٣.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٢/٢.
(٣) معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، (ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ: ٣٤٣/٤.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٧٢/٢.
(٥) سنن النسائي، احمد بن شعيب النسائي، (ت٣٠٣ هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ٢٧٥/٧ برقم (٤٣٧٠)، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أبو حاتم الدارمي البُستي، (ت٣٥٤هـ)، ترتيب: علي بن بلبان الفارسي، ت٧٣٩ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ: ٢١٤/١٣ برقم (٥٨٩٤)، وفيه ضعف.

الخـاتـمـة

بعد بلوغنا من البحث منتهاه آن لنا أن نسطر كلمات نختمه بها، وأهم ما يقال في الازدراء أنه من أخطر أمراض القلوب وأسوء الخصال التي يُطبع عليها ابن آدم، لأنها مفضية إلى ما لا يحمد عقباه في دنياه وآخرته.

- الازدراء باب يجمع كل الألفاظ والمسميات الأخرى كالاحتقار والاستهانة والسخرية وغيرها.
- ورد الازدراء في القرآن الكريم مرة واحدة مسنداً إلى العين في قوله تعالى: ((تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ)) من سورة هود على لسان نبي الله نوح ﷺ.
- يرجع تاريخ الازدراء إلى خلق أبينا آدم ﷺ حين ازدراه إبليس فبدأت قصة العداوة بيننا وبينه.
- للازدراء أنواع كثيرة أولها وأهونها الازدراء بالنظرة وهو أهون بالنسبة لما بعده أما بحد ذاته فليس هينا بل هو عند الله عظيم.
- ثم الازدراء بالكلمة ثم بالضربة واللذان يسوقان صاحبهما إلى ارتكاب أشنع وأشنع من مجرد الكلمة أو الضرب، ومن هنا نعرج بالحديث عن خُلق منتشر بين اتباع الديانات وهو ازدراء الأديان والذي جاء النص الصريح بالنهي عن التعرض إلى مقدسات الغير لا لكونها مقدساتٍ بذاتها بل لأنه يترتب عليه ذنب أكبر وهو سبهم لمقدساتنا، قال تعالى: ((وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام: ١٠٨].

❁- بل قوّم الإسلام تعامل الطائعين من العاصين حين نهى عن ازدراء بعض المؤمنين للعاصي.

❁- أما ما يتعرضه المسلمون من ازدراء من أهل الكفر والضلال وسخريتهم بهم فقد أعد الله لهم عذابا اليما لما يُحدثوه في نفوس المؤمنين من ألم وحزن.

❁- وتعرض الإسلام إلى نوع خفي من الازدراء وهو ازدراء الهدية وحض المسلمات على وجه الخصوص أن لا يزدرين أدنى هدية ينوين اهداءها لأختهن.

❁- ثمة ازدراء للعورة وعقوبتها أن يُبتلى قائلوها بها فلا يموتوا حتى يفعلوا ذات الذنب الذي عيّروا به أخاهم.

❁- ثم النوع الأخطر والأقسى وهو الازدراء بالقتل فقد شدد شرعنا على تجريم هذا الازدراء وعدّه من أكبر الكبائر لأنّه يقود المرء إلى إهراق دم وإزهاق روح بغير حق، وحدّ له حدودا بلغت أنَّ النبي نهى أنْ يُعبث بروح عصفور فمال بال العباد بأرواح أهل الإيمان.

التوصيات

أوصي بتوعية المسلمين بخطر هذا المرض والمحاولة لتخليص الناس منه، وذلك بعرض الحلول التي عالج ديننا من خلالها هذه الآفة، ولعل أنجع الحلول لها هو اللقاء المباشر بين الأطراف المختلفة، ونستنبط ذلك من قول النبي ﷺ: ((تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ))[1].

فأحد أهم أسباب زوال الازدراء من القلوب هو التصافح والتسامح والتفاهم، لعل الله يؤلف بين قلوبنا فليس أحدٌ قادرٌ على تأليف القلوب غيرَ الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأرض جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال:٦٣].

اللهم ألّف بين قلوبنا وأزل ما بيننا مِن بيننا انك على ما تشاء قدير

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . . .

(١) الموطأ، مالك بن أنس، (ت١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر ١٤٠٦ هـ، الطبعة الأولى: ١٣٣٤/٥ برقم (٣٣٦٨)، وفيه ضعف.

المصادر والمراجع

۞ **القرآن الكريم.**

١. (لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم)، تيسير بن سعد ابو حيمد، السعودية.

٢. اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، تحقيق: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة: ١٤١٤هـ.

٣. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٤. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أبو حاتم الدارمي البُستي، ت٣٥٤هـ، ترتيب: علي بن بلبان الفارسي، (ت٧٣٩ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٥. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

٦. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي زكي الدين المنذري، (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.

٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، (ت١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

٩. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت.

١٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١١. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، جمال الدين، (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.

١٢. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٣. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن الزمخشري جار الله، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان.

١٤. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق ابن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

١٥. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (ت٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
١٦. المغرب في ترتيب المعرب، أبو الفتح ناصر الدين ابن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري وعبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
١٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٨. الموطأ، مالك بن أنس، (ت١٧٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر ١٤٠٦ هـ، الطبعة الأولى.
١٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٢٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ.
٢١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤٠١هـ.

٢٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٤. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٥. دلائل النبوة، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد المعطى قلعجى، دار الكتب العلمية، بيروت، ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.

٢٦. زاد المعاد في هدي خير العباد ﷺ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٢٧. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٢٨. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤١٠ هـ، الطبعة الأولى.

٢٩. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، سنة النشر ١٤٠٣ هـ، الطبعة الثانية.

٣٠. سنن النسائي، احمد بن شعيب النسائي، (ت٣٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى.

٣١. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٣٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت.
٣٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
٣٤. عيوب النفس، محمد بن الحسين النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، (ت ٤١٢هـ)، تحقيق: مجدي فتحي السيد، مكتبة الصحابة، طنطا.
٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (ت ٨٥٢ هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية.
٣٦. لسان العرب، ابن منظور، (ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
٣٧. لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.
٣٨. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (ت ٧٢١ هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة النشر ١٩٩٥م.
٣٩. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا القاري، (ت١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٤٠. مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تعليق: شعيب الأرناؤوطي، المكتبة الميمنية، مصر.

٤١. معالم السنن، (شرح سنن أبي داود)، أبو سليمان حمد بن محمد البستي المعروف بالخطابي، (ت٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ.

٤٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.

٤٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٤٤. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري،(ت١٣٤٥هـ)، دار الفيحاء، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.